تراكيب الدعاء في القرآن الكريم: دراسة لغويّة

Structures of Supplication in the Holy Quran: A Linguistic Study

نايف محمّد النجادات
أستاذ مشارك / جامعة البلقاء التطبيقيّة / الأردن

Nayif Mohmmad Alnijadat
Associate Professor \ Al- Balqa' Applied University \ Jordan
nayif8154@bau.edu.jo

تاريخ الاستلام: 2021/01/02، تاريخ القبول: 2021/06/20
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 02/01/2021, **Accepted:** 20/06/2021
DOI:10.33977/0507-000-060-007
https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

هذا بحث لغويّ في تراكيب الدعاء في القرآن الكريم؛ يعرض تعريف الدعاء وأنواعه والغايات منه، ويهدف البحث إلى عرض التراكيب النحوية مثل: استخدام فعل الأمر وغيره للأدعية والتحايا وأساليبها، فقد تطورت التراكيب والأساليب اللغوية للدعاء بسبب تأثير الفكر الإسلامي المتضمن في القرآن الكريم. حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي، وقد تبيّن أنّ تراكيب الدعاء استمرت عند العرب في بداية عصر صدر الإسلام، ثمّ تلاشت تدريجيا تراكيب الدعاء والتحايا المناقضة للفكر الإسلامي، وظهرت أدعية وتحايا تتوافق مع فكر العقيدة الإسلامية، وتوصلت الدراسة أيضا الى أن الدعاء جاء في تراكيب متنوعة؛ منها: الجملة الاسمية والجملة الفعلية والمصدر النائب عن فعل، وكذلك بعض تراكيب الدعاء تكون وصفا للحال دون سؤال، وقد ظهرت بعض التراكيب ذات المعنى السلبي، لكنهم يريدون بها معنى إيجابيا، نحو: (ثكلتك أمك، ولا أبا لك، وتربت يداك)، وهذا يدل وبكل وضوح على أثر المجتمع في معاني التراكيب اللغوية.

الكلمات المفتاحية: الدعاء، اللغة، التراكيب، الجملة.

Abstract

This is linguistic research into the structures of supplication in the Holy Quran, reviewing its definition, types, and purposes. The research aims to display the grammatical structures such as the use of the command verb and others for supplications and salutations and their methods. The linguistic structures and methods of supplication have developed due to the influence of Islamic thought included in the Holy Quran. The researcher used the descriptive inductive method. It was found that the structures of supplication persisted among the Arabs at the beginning of the early Islamic era, then gradually, the structures of supplication and salutations that contradicted Islamic thought appeared. The supplications and salutations appeared in line with the thought of the Islamic faith. The study also concluded that supplication came in a variety of structures, including the nominative sentence, the verb sentence, the source representing a verb, and some structures of supplication that describe the situation without question. Some structures with negative meanings appeared while hinting at positive meanings, such as "May your mother be bereaved of you, and no father for you, and you raised your hands". This clearly indicates the impact of society on the meanings of linguistic structures.

Keywords: *Supplication, language, structures, sentence.*

المقدمة

هذا البحث موضوعه: (تراكيب الدعاء في القرآن الكريم)، وهو دراسة لغوية تبين التراكيب اللغوية للدعاء مع التمثيل عليها من خلال القرآن الكريم، وما يدور على ألسنة أبناء المجتمع من أقوال يُفهم منها الدعاء، ذلك أن القرآن الكريم بخاصة والفكر الإسلامي بعامة أثّر في جوانب الحياة العربية، فغيّر وعدّل الكثير من المظاهر، وهذا البحث اللغوي محاولة لرصد ما جرى للأدعية بصورة خاصة من تطور تركيبيّ، وذلك وفقاً للمنهج الوصفي الاستقرائي.

وفي البداية يحسن بنا أنْ نذكر أنّ معظم تراكيب التحية مثل: عم صباحا وعم مساء والسلام عليكم؛ هي تراكيب لغوية للتحية، ولكنّها تتضمن معنى الدعاء؛ لذا يوجد رابط كبير بين تراكيب التحية والدعاء، ويمكن القول إنّ كل تحية يُفهم منها الدعاء، وليس كل دعاء تحية.

وقد أكّد ابن جني على الوظيفة التعبيرية للغة لدى القوم الناطقين بها، (ابن جني، 1998، 32/1) والدعاء تعبير لغوي يؤديه الفرد للتعبير عن مشاعر إيجابية أو سلبية إزاء جهة ما.

أهمية الموضوع

هذا البحث إطلالة علمية على تراكيب الدعاء في القرآن الكريم، فضلا عن التطرق إلى بعض التحايا التي يُفهم من سياقها الدعاء للأفراد أو الجماعات ليسعدوا وينعموا، وبيان نوع التركيب نحويا، وبيان القرينة التي أحالت القول إلى دعاء. وقد أشار البغدادي أنّ اللغويين "عدوا قول العرب: لا أمّ له لا تأتي إلا للذم، وذلك باستقراء كلام العرب في هذا الباب"(البغدادي، 1989، 4/ 104).

وتأتي أهمية هذا البحث من بيانه لتراكيب جملة الدعاء، فقد تعددت أنواعها، واشتملت أحيانا على مقدمة قبل تركيب الدعاء، وهذا يدلّ على أهمية الدعاء عند الناطقين باللغة.

الدراسات السابقة

لم أعثرْ على بحث يعرض تراكيب الدعاء في القرآن الكريم من الناحية النحوية وحدها –بحسب العلم والاطلاع-، وجاءت إشارات متناثرة في بطون الكتب تفسر بعض التراكيب على أنها من قبيل الدعاء، وتعرض الدعاء من الجانب الديني؛ تعريفه، وأنواعه وحكمه ومعانيه في القرآن، وقد جاءت في مقالات عادية.

وقد جاءت دراسات جعلت الدعاء موضوعا لها، منها:

1- المستوى التركيبي في الدعاء التركيبي، مؤلفه كل من: بور رائدة علي، وغانمي محمد جواد اسماعيل، ويبحث في تركيب جمل الدعاء من منظور علم المعاني؛ فالجمل الخبرية والجمل الإنشائية متناسقة، وبينها ترابط في المعنى، مما يُشكل قوة للتأثير في المتلقي؛ وبهذا يميل موضوع البحث إلى المستوى البلاغي، وتحديداً علم المعاني.

2- الدعاء في الشعر العربي، مؤلفه محمد عبد الرحيم؛ جمع المؤلف في كتابه بعض الشعر الذي تضمن دعاء، وقدم له بالحديث عن آداب الدعاء، وأوقاته.

3- فن الدعاء في الشعر الجزائري القديم، مقاربة أسلوبية، للطالب مسعود خرازي، وهي رسالة ماجستير بإشراف الدكتور أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة. وهي دراسة أسلوبية (خرازي، 2007).

4- توجد محاولات متعددة لجمع الدعاء في القرآن الكريم، منها: آيات الدعاء في القرآن الكريم؛ جمع وتأليف حسين علي خليف الجبوري، وذلك للنظر في مواضيع آيات الدعاء، والنظر في استخدام تركيب النداء الذي يسبق الدعاء، والبحث في عدد من أدوات النداء.

وبهذا نرى انّ غالبية الدراسات لم تتناول تراكيب الدعاء نحويا، وجاء هذا البحث ليبحث تراكيب الدعاء بتعدد مصادرها من الناحية النحوية.

منهج البحث

يُطبّق البحثُ المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بعرض أنواع من تراكيب الدعاء في القرآن الكريم المتنوّعة، وتصنيفها بحسب نوع الجملة من الجانب التركيبيّ النحويّ. وتحليل أنواع تراكيب الدعاء، ومقدمته؛ الملفوظة أو المحذوفة.

وعرض البحث تعريف الدعاء لغة واصطلاحا، وعلاقته الوطيدة بأسلوب النداء، ولم يغفل البحث بيان أنواع الدعاء بحسب الداعي، والأساليب اللغوية للدعاء، وأحواله، وكيفيته، وظاهرة نحت تراكيب الدعاء. وتمّ توضيحها بحسب خطة البحث على النحو الآتي:

1ـ تعريف الدعاء

الدُّعاء (بضم الدال)، مصدر دَعا يدعو، ووزن فُعال يدل على الصوت نحو: رُغاء، ومُواء أو المرض نحو: زُكام، وعُطاس. ودعاء الإنسان ربه وإلهه يكون لتحقيق رجاء أو دفع بلاء، أو لمجرد الثناء على الله تعالى، نحو قول القائل: يا الله؛ لا إله إلا أنت. "والدّعوة هي المرة الواحدة من الدعاء... ودعا الرجل دعواً ودُعاءً: ناداه" (ابن منظور، 2000، 5/267)، وجاء في التعريفات "أن الدعوى لفظ مشتق من الدعاء، والدعاء الطلب". (الجرجاني، 1998، 75)

والدعاء فرعٌ على النداء، فالنداء هو الأسلوب اللغويّ الذي تدعو به فردا ما، أو جماعة؛ فنحو: يا زيدُ! أي: أدعو زيدا، والمنادى من المنصوبات، ولكنه مبني في محل نصب، وقد جعل بعض النحاة المنادى منصوبا أو في موضع نصب، وهذا قول الخليل (سيبويه، 1991، 2/184)، والنصب هو الأصل "وقدّروا ناصبا له، وهو الفعل: أدعو"(عتيق، 2009، 115)، وهم في الوقت ذاته يدركون أنّ النداء جملة إنشائية، والجملة المقدّرة خبرية، ويرى المخزومي (1985، 303) أنّ بين الأصل والتقدير "تناقض ظاهر".

والمصدر الرئيس لتركيب الدعاء المباشر هو "فعل الأمر الذي خرج إلى الدعاء؛ تقول: اللهمّ اغفرْ لي، فالأمر هنا موجه إلى الأعلى، فهو دعاء، والأمر الموجه إلى الندّ يفيد الالتماس، والأمر الحقيقي هو الموجه إلى الأدنى". (عتيق، 2009، 75). وقد جاء قول المهلهل:

ضربتْ نحرها إليَّ وقالت يا عدي، وقتك الأواقي
(المهلهل، 1993، 58)

المرأة التي يتحدث عنها الشاعر تقول له: وقتك الأواقي؛ أي حمتك من الأذى التي تحمي، وهم في ذلك الزمن يعبدون الأصنام التي ورثوها من قوم عاد؛ يقول مهلهل:

كلا، وأنصابٍ لنا عاديَّةٍ معبودةٍ قدْ قُطّعتْ تقطيعا
حتى أبيدَ قبيلة وقبيلة وقبيلة وقبيلتين جميعا
(المهلهل، 1993، 48)

ويبدو أنّ الدُعاء خطاب لغويّ باستخدام أسلوب النداء، ويكون مسموعا أو خفيا، ويتوجه الداعي إلى الله بخطابه عند شعوره بالحاجة إلى كف أذى يتوقعه أو لحق به فعلا أو بقومه، وقد يطلب من الله نصرته على من يعاديه أو يعادي قومه، ومساعدته لتحقيق أهدافه أو أهداف قومه.

ومن الملاحظ أيضا أن للدعاء تعريفات ومفاهيم تم ذكرها في الثقافات الأخرى ومن أهم هذه التعريفات:

يرى (كانتر Canter) أنّ الدعاء "تعبير عن الذات لمحاولة تحقيق التواصل مع الخالق" (Canter, 2007, 326).

وتبين (ويرزبيكا Wierzbicka) أنه لا يمكن ربط الدعاء بالكلام فقط، بل هو أسلوب حياة، وتشرح ذلك بقولها إننا "نعيش في" صلاة بدلاً من مجرد "قول صلاة" (Wierzbicka,1994, 31)

ويبين (سايكس Sykes) إنّ الدعاء "نوع من الالتماس الذي يقدمه المؤمنون ليطلبوا من الله الأشياء التي يهتمون في المقام الأول بالحصول عليها مثل خيرات السماء" (Sykes, 2004, 390)

وهذا الأمر يظهر جليا لأن غايات الدعاء وأساليبه وتراكيبه متنوعة مقصديا، ولغويا.

كما أن للدعاء أنواعاً ومقاصد متنوعة، سواء أكان الدعاء على أحد أم كان لأحد بشكل عام، ويمكن أيضًا تقسيم الدعاء إلى نوعين عامين، اعتمادًا على ما يُطلب منه. وهذان النوعان: الدعاء في الدين، والدعاء للدنيا، كما أن الأوقات التي يتم فيها أداء الدعاء متنوعة؛ فبعض الاشخاص يدعون مرات عدة في اليوم، أو بعد كل صلاة، وبعضهم يدعو في كل وقت. وقد يكون الدعاء عند الشعور بالمخاطر، أو وقوع المصائب.

1-1 أنواع الدعاء في القرآن الكريم

يلحظ المتتبّع لآيات الدعاء في القرآن الكريم أمرين، هما: كثرة آيات الدعاء وانتشارها على صعيد النص القرآني من جهة، وتعدّد المستويات وتنوّعها من جهة أخرى، فإنك تجد في الكتاب العزيز أدعية للأنبياء مرّة وللمؤمنين ثانية وللملائكة ثالثة... إلخ "وقد تتفرّق أدعية كلّ مستوى على سورٍ عدّةٍ" (زوين، 2011، 15).

فالدعاء في القرآن الكريم متنوع بحسب رافع الدعاء، ومنتشر في سُوَر القرآن الكريم من الفاتحة إلى سورة الناس.

1-1-1 أدعية الأنبياء

أكثر الدعاء الوارد في القرآن الكريم جاء على لسان الأنبياء، وما يلحظ هنا تفاوت نسبة أدعية كلّ واحد منهم عن الآخر، فضلاً عن خصوصية دعائه؛ فنُقل عن إبراهيم وموسى ونوح ونبيّنا -عليه وعليهم

أفضل الصلاة والسلام- نصوص دعائية فاقت غيرهم من الأنبياء أمثال: زكريا وسليمان ويوسف وأيوب عليهم السلام جميعا.

1-1-2 دعاء المؤمنين

المستوى الثاني من أنواع الدعاء جاء على لسان المؤمنين الذين صدّقوا بأنبياء الله ورسالاته، وبعد إيمانهم بالله تعالى وتوحيده وإخلاص التوجّه إليه.

والمتتبّع لهذا النوع يخلص إلى أن القرآن العزيز قد نقل جانباً وافياً من دعاء المؤمنين، وجاء ذلك على اختلاف أزمانهم، وتعدّد أنبيائهم، وتفاوت حالات دعائهم ومسائلهم.

ومن جانبٍ آخر يأتي الدعاء على لسان المؤمن الفرد لتلبية حاجة خاصة وفردية، ويأتي الدعاء أحياناً على لسان الجماعة، ويبدو انّ الخطاب الجماعي يُسهم في توحيد المجتمع على مستويات متعددة؛ وكأنّ المجتمع توحدّ في الهمّ، وتوحد في الاتجاه إلى الله تعالى لاستجابة الطلب؛ ويمكن التمثيل على ذلك في نص سورة الفاتحة التي حالما ينتهي الإمام من قراءتها يقول المصلون: آمين.

1-1-3 دعاء الملائكة

من الطريف أن ينقل القرآن الكريم أدعية لجنس آخر من خلق الله تعالى، وهم الملائكة، وأغلب ما جاء عنهم دعاؤهم للمؤمنين ولأهل الجنّة بالسلامة، وإلقاء التحية عليهم، ومن أمثلة دعاء الملائكة:

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر:7).

1-1-4 دعاء الكفّار

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الانفال: 32).

ومعلوم أن الكفار لم يتهاونوا يوماً في إيذاء الأنبياء صلوات الله عليهم، واستخفوا بهم وبدعوتهم، واستخدموا كل الأساليب التي من شأنها عرقلة سير الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ومن هذه الأساليب الرخيصة التي استخدموها اتهامهم بالجنون، وطلبهم الكنوز والذهب والفضة لإثبات المعجزات، وأنكروا شخص النبيّ الكريم، وجاء الدعاء على أنفسهم لتضعيف دين الله.

1-1-5 دعاء إبليس

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (الحجر:36-37). ذكر القرطبي أنّ إبليس لما يئس من عودته إلى درجته العالية عند الله –جلّ وعلا- طلب الإمهال في عقوبته وعذابه، فاستجاب الله -تعالى- له.

هذه الأنواع المذكورة من الدعاء لا بدّ وأن لها تأثيرات دلالية على التراكيب اللغوية؛ لذا كان من المهم التطرق إليها، ثمّ تبيان أنواع الدعاء التي ذُكرت في القران الكريم.

1-2 من التراكيب اللغويّة للدعاء في العصر الإسلامي

الأصل في تركيب الدعاء الصريح هو بصيغة فعل الأمر الموجه من الفرد ملتمسا من الله تعالى تحقيق ما يريد -كما تقدم-، وغالبا ما تتقدم التركيب أداة نداء ملفوظة، نحو: يا ربّ، يا اللهمّ، أو تحذف الأداة فتقول مباشرة: ربِّ هبْ لي رحمة ونعمة.

أما بالنسبة لحذف أداة النداء في الدعاء فهذه من الأمور التي يجب التنبيه عليها حيث إنه يتم حذف أداة النداء في الحالة التي يكون فيها خروج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، فالحذف أو الذكر يتعلق بالمقام والقرائن الحالية والقولية، وهذه المعاني: "ليست معاني نحوية، أي ليس لها تراكيب نحوية خاصة متفق عليها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الدعاء"(تريكي، 2007، 90-88).

فالدعاء هو من بين أكثر المواضع التي يخرج فيها النداء عن معناه الأصلي، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: 193).

وأشار أبو السعود (2001، 131) إلى" أن هذه الآية تضمنت دعاء للمغفرة والإقرار بربوبية الله سبحانه، وأن يغفر لهم ذنوبهم كبائرها وصغائرها"، وقد تضمنت هذه الآية وجها من الوجوه البلاغية، وهو الإطناب في قوله تعالى ﴿ربنا﴾ وتكرير النداء بهذا الاسم الجليل على سبيل الاستعطاف والمبالغة في التضرع وطلب الرحمة بنداء الربّ بهذا الاسم الدال على التربية والإصلاح.

وقد يفهم الدعاء من تراكيب أخرى؛ منها: الفعل المضارع، والفعل الماضي والمصادر وجملة النهي، وقد يأتي الدعاء بأسلوب كوصف الحال، أو بعد مقدمة مناسبة تمهد إلى الدعاء. وهذا توضيح وتمثيل على كل منها:

1-2-1 جملة الأمر: خروج الأمر إلى الدعاء كثير (عتيق، 2009)، قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6)؛ الدعاء مفهوم من: اهدنا، جاء في الإملاء للعكبري (1979، 7): "اهدنا لفظه أمر والأمر مبني على السكون عند البصريين"، وذكر أبو حيان " أنّ الهدى بالإلهام كما عند الحيوانات أو الدعاء"(أبو حيان، 1990، 25). وجملة فعل الأمر أسلوب طلبيّ، وهو "الأصل في الدعاء المباشر" (السامرائي، 2002، 4/26)؛ لأنه طلب خرج إلى معنى الدعاء. في نحو قول الله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (نوح:28). وقوله تعالى: اغفرْ: أمر خرج معناه إلى الدعاء.

1-2-2 الفعل المضارع: جاء الدعاء بجملة فعلية فعلها مضارع في قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون: 79)، وقوله تعالى في المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق:1)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس:1)

وأشار السامرائي (2002، 280/3) أنّ الدعاء جاء "بصيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال"، وكأنّ الداعي مستمرّ في الدعاء استمرارية الفعل المضارع، ذلك لأنّ شرور المخلوقات، وشرور الناس

متواصلة عبر الزمان والمكان، والوقاية منها لا تكون إلا باللجوء إلى الله دائما، وقد وفّر تزمين الفعل المضارع هذه الحماية الدائمة.

1-2-3 الفعل الماضي: يكثرُ مجيء الدعاء بصيغة الفعل الماضي، ومنها قولنا: "غفرَ اللهُ لك، فهو إنشاء يقصد به الطلب"(السامرائي، 2002، 272/3)، ومنه قولهم: "استأصل الله عِرَقاتهم" (ابن جني، 1992، 2/9)، فالمتكلم يطلب من الله تعالى أن يقضي على المقصودين بالدعاء، ويعود عليهم (هم) في (عرقاتهم)، والملاحظ أنّ الدعاء(استأصل) جاء بصيغة الماضي، وكأنّ الله تعالى استجاب إلى الداعي، فأصبح خبر الاستجابة من ركام الماضي.

وكان هذا الدعاء مستخدماً عند العرب قبل الإسلام؛ يقول المرقش الأصغر:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

والبيت نسب للشاعر طرفة بن العبد؛ وقوله: "غير مفسدها؛ احتراس". (عتيق، 2009، 192)

والشاعرُ يدعو أن يسقي الله ديار الذي يخاطبه دون إفساد، فساق الدعاء بالفعل الماضي(سقى)وكأنه في حكم ما وقع.

وجاء في آي القرآن الكريم دعاء بتركيب الماضي، وإن كانت تتصدره بعض النواسخ فتحيله إلى جملة اسمية خبرها جملة فعلها للمضي، منها قوله تعالى على لسان أيوب: ﴿وأيوبَ إذْ نادى ربه إنّي مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾ (الأنبياء:84)؛ الشاهد في الآية الكريمة: مسّني الضرُّ؛ وسيأتي الحديث عنها لاحقا.

1-2-4 المصدر النائب عن فعله:

جاء الدعاء بمصدرٍ نائب عن فعل الأمر (عتيق، 2009، 76) كما في قول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: 285)؛ الشاهد في الآية الكريمة: غفرانك؛ وهو مصدر نائب عن فعله، وجاء الدعاء بالمصدر، و"المصدر أقوى من الفعل". (السامرائي، 2002، 167) وقولهم: "تباً له، وويل (أي له)". (ابن جني، 1992، 218/1)، وهما مصدران أفادا الدعاء على المقصود بالخسران، والتهديد بالهلاك.

1-2- 5 تركيب جملة النفي:

جاءت أدعية عربيّة بالنفي، منها قولهم: لا يفضض الله فاك، وقولهم: لا فُض فوك! وهو دعاء بطول العمر، وأنّ لا تسقط أسنانه الأمامية، وقد ورد هذا الدعاء على لسان النبي عليه السلام في خبر الحديبية؛ قال: (لا فُضّ فوك) ويذكر أنّ النبي عليه السلام قاله بالنصب: (لا يفضض الله فاك)؛ قاله للنابغة الجعدي عندما أنشده الرائية. (ابن منظور، 1995).

1-2-6 تركيب جملة النهي:

النهي: "هو طلب الكف عن فعل شيء ما، وقد يخرج إلى الدعاء"(عتيق، 2009، 84-83)؛ وجاء الدعاء بتركيب النهي في قول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة:286)، ورد في الآية الكريمة ثلاثة أفعال مضارعة مسبوقة بأداة النهيّ، هي: لا تؤاخذنا، ولا تحمل علينا، ولا تحملنا؛ ويُفهم منها "الطلب بعدم المساءلة عن المعاصي والذنوب التي يرتكبونها بسبب النسيان، وعدم تكليفهم بالعبادات الشاقة" (الطبري، 2000، 139/6) والنهي هنا خرج عن معناه إلى الدعاء، وأشار ابن هشام إلى قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

لا بارك الله في الغواني هل يُصبحنَ إلا ولهنّ مطلبُ

(ابن هشام، 1998، 244)

يدعو الشاعر على الغواني بأن لا يبارك الله فيهنّ؛ لأنّ طلباتهنّ تتجدد مع كل صباح.

1-2-7 تركيب الجملة الاسمية:

جاء الدعاء بجملة اسمية في قول الله تعالى على لسان الملائكة ونبي الله هود: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (الذاريات:2)، الملائكة نصبوا (سلاماً) أي نُسلّم عليك؛ فهي مصدر منصوب نائب عن فعله، ونبي الله هود رفع فقال: (سلامٌ) أي: سلامٌ عليكم؛ فقوله جملة اسمية من مصدر مرفوع، والجملة الاسمية أبلغ من الجملة الفعلية في هذا، وأيضا المصدر أقوى من الفعل. (السامرائي، 2002، 144/2)

وقولنا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ تحية إسلامية جاءت عوض أنعم صباحا وعموا صباحا ونحوهما التي كانت تُقال في الجاهلية، ويفهم من تحية المسلمين الدعاء بأن يعمّ السلام وتنتشر الرحمة في الوسط الذي ألقيت فيه، كما تفهمهم أنّ من ألقى التحية هو مسالم يدعو إلى السلام والرحمة، بصورة دائمة، والتركيب مكون من: السلام: مبتدأ، وعليكم: شبه جملة في محل الخبر، والجملة اسمية لا يحدها زمن.

ومنه قولنا للحاج عند قدومه: مبرورٌ مأجورٌ (ابن جني، 1992)، والتركيب خبران لمبتدأ محذوف تقديره: حجُّك مبرور وحجك مأجور.

1-2-8 تركيب جملة الشرط القسميّ:

ورد الدعاء بجملة شرطية في قول الله تعالى على لسان قوم كانوا يسيرون في البحر أصابتهم عاصفة شديدة: ﴿دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ (يونس:22) وهذا تركيب شرطيّ قسميّ يُفهم منه الدعاء، وذلك بتقديم التعهد والاشتراط على النفس بشكر الله حال النجاة مما هم فيه (الطبري، 2000، 50/15)، والدعاء يفهم من قول الله تعالى: دعوا الله.

جاء في معاني النحو "إذا اجتمع في التركيب قسم وشرط كان الجواب للمتقدم منهما" (السامرائي، 2002، 118/4)

1-2-9 جملة اسمية مركبة:

هي جملة مكونة من المبتدأ وخبره جملة فعلية، وجاء هذا الدعاء في قول الله تعالى على لسان أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:83) قوله: " نادى ربه: أي دعاه" (الطبري، 2000، 483/18). والجملة الاسمية مكونة من: أنّ واسمها، وهو الضمير المتكلم، وخبرها وهو الجملة الفعلية: مسّني الضرّ. وهذا أسلوب من أساليب الدعاء التي سيأتي الحديث عنها.

2ـ من الأساليب اللغوية للدعاء

يأتي الدعاء أحياناً بصورة غير مباشرة، ويلمح الدعاء من التركيب، فالعرب يميلون إلى التلميح (ابن الأنباري، 1999؛ والسامرائي، 2002)، والقرآن الكريم جاء وفقاً لأساليب العرب اللغويّة وطرائقهم في الكلام.

2-1الاعتراف والتسليم:

جاء الاعتراف والاستسلام في قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿فلما أخذتهم الرجفة قال ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إنْ هي إلا فتنتك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ (الأعراف: 155).

ويُفهم من تفسير الطبري (2000) أن موسى كان يناشد ربه ليرد لقومه أرواحهم، فتاب عليهم بعد موقف شديد، وتُفهم المناشدة من: لو المفيدة معنى الشرط، ثمّ وليها الفعل شاء المسند إلى تاء المخاطَب.

وفي الكشاف ذكر الزمخشري (2009) أن موسى يتمنى لو وقع بهم العقاب قبل أن يراهم، وهذا مفهوم من السياق، وقد يُشعر بمدى إدراك موسى لذنب قومه، لذا لجأ إلى الدعاء.

2-2 الحال:

بيان الحال مقام من مقامات الدعاء، ويكون في حالات منها: الأولى: أن يبين الداعي حاله بقصد الدعاء، والثانية: أن يرى حال غيره فيتذكر الدعاء، والثالثة: أن يبيّن حاله على سبيل الدعاء والتعريض بالسؤال.

2-2-1 بيان الحال قبل الدعاء:

يقول الله تعالى على لسان زكريا: ﴿قال ربّ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربّ شقيا﴾ (مريم: 4)، فهو وصف من زكريا للضعف الذي آل إليه، وأنه يعرف إجابة الله لدعائه، وأنه يخشى على قومه من ورائه، ثمّ يقول: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا﴾ (مريم :4)، لذا جاء الدعاء المباشر بعد هذه المقدمة الواصفة لحاله، بأن يهب له ولدا يكون نبيا من بعده، وكان قد أخفى دعاءه (ابن كثير، 2000).

2-2-2 وصف الحال دون دعاء

قول الله تعالى على لسان أيوب: ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (الأنبياء:83)، جاء تركيب الدعاء بالجملة الاسمية، وهو يتضمن وصفا لحاله، والله تعالى أعلم بحاله، وجاء الكلام دون دعاء مباشر.

2-2-3 الدعاء مع التعريض

قال الله تعالى على لسان موسى: ﴿ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾)القصص: 24)؛ جاء تركيب الدعاء بجملة اسمية مؤكدة بإنّ واللام، فموسى عليه السلام لم يسأل الله تعالى إلا الطعام، ولكنّ القول بمثابة التعريض لتسمع الفتاتان شكواه، فتذكرا مساعدته لهما لأبيهما، فهذا القول أفاد بصورة مباشرة الدُعاء، فضلا عن التعريض. (الطبري، 2000؛ الزمخشري، 2009)

كان دعاء موسى عليه السلام بصوت مرتفع، برجاء أنْ يفهم منه السامع أحواله، فيُهرع إلى مساعدته، أو ينقل وصف حاله لمن يستطيع مساعدته، وجاءت الاستجابة الفورية من الله تعالى: دعوة إلى الطعام من شعيب، ثمّ حماية وأمان، وعمل، وزواج.

2-2-4الدعاء حال حدوث المعجزة

اغتنم زكريا عليه السلام فرصة إنعام الله على مريم؛ فدعا ربه: ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال ربّ هبْ لي من لدنك ذرية طيبة إنّك سميع الدعاء﴾ (مريم: 38).

رأى زكريا ـــ عليه السلام ـــ رزق الله الذي آتاه مريم رغم ضعفها، وعدم وجود مثل ذلك الرزق مكاناً وزمانا، فهذا الرزق معجزة، وهو بحاجة إلى معجزة ليرزقه الله الولد، فالذي رزق رزقاً في غير زمانه، قادر على تحقيق مراده؛ فامرأته عاقر، وهو نفسه كبير السن، فتوجه بالدعاء إلى الله تعالى (الطبري، 2000).

لقد جاء دعاء زكريا ربه في هذه البيئة، وكان بفعل الأمر: هبْ لي ذرية طيبة، وفاعله ضمير المخاطَب: أنت، ومعلوم أنّ وهب من الأفعال المتعدية إلى مفعولين، ومصدرها: هِبة، والهبةُ في لغة العرب هي: "العطية الخالية عن الأعواض والأعراض" (ابن منظور، 1995)، إنها عطاء دون مقابل أو استحقاق. وكأنّ المقصود كما رزقت مريم رغم ضعفها ارزقني على الرغم من حالي وحال زوجي.

2-3 الرجاء:

الرجاء "من الأمل، نقيض اليأس" (ابن منظور، 1995)، فالرجاء طلب حصول أمر مرغوب وممكن الوقوع، وألفاظ الرجاء: عسى ولعل، وهما لترجي حصول أمر مطموع فيه (عتيق، 2009)، يقول الله تعالى موجها النبي: ﴿وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا﴾ (الكهف:24)؛ هو رجاء، ولكنه عند النبي عليه السلام دعاء بأن يلهمه الله الرشد.

ومن هذا الباب قول الله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ (الإسراء:79)، فهو رجاء بأن ينال النبي مقام الشفاعة يوم القيامة (الطبري، 2000).

وقول الله تعالى على لسان يعقوب: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف:83)، موضع الشاهد: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ فهو دعاء من خلال الرجاء (الطبري،2000، 214/16) جاء في المغني في نحو هذا التركيب: "وهو قول الجمهور؛ أنه مثل أن يُقال: عسى زيد أن يقوم، واختلف في إعرابه..."، ثم ساق أوجه الإعراب، ولعلّ أقواها الرأي القائل بأنّ هذا التركيب مثل قولنا: كان زيدٌ أن يقوم" (ابن هشام، 1998، 158).

فتركيب الدعاء بـ(عسى ولعل) يتضمن الفعل عسى، ثمّ جاء الأمر المرغوب في حصوله على صورة مصدر مؤول :(أنْ يهديني، وأنْ يبعثك، وأنْ يأتيني)، ولعل التركيب في هذه الأدعية جاء بتركيب عسى الفعل الناقص، وليتها الجملة الاسمية؛ المصدر المؤول وخبره، ومعلوم أنّ الجملة الاسمية غير مقيدة بالزمن، فكأنما هذه الأدعية مُتاحة للجميع بقطع النظر عن الزمان والمكان. كما تبين الآيات ان هناك صوراً متعددة للدعاء منها:

2-3-1 أداء الدعاء وتقبله

يقول الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم:40) فهو دعاء للقيام بالعبادة وأدائها، وكذلك الرجاء من

الله تعالى في قبول الدعاء، والتركيب اللغوي في هذه الصياغة فعل أمر: اجعلْ، وتقبلْ، وقد انصرف الأمر إلى الدعاء.

2-3-2 طلب الذرية الصالحة

يقول الله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ۝فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات:101-100)، الطلب والرجاء بالحصول على الذرية، بتركيب فعل الأمر لصيغة الدعاء، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء:89)، طلب الدعاء بصيغة تركب النهي بأداة النهي لا، وتلاها الفعل: تذرني.

3-3-2 اتباع الصالحين

يقول الله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (الشعراء:83)، الرجاء من الله تعالى أن يكون معه صالحون، وجاء الدعاء بصيغة الأمر.

4-3-2 طلب المسامحة من الذنوب

يقول الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الاعراف:23)، هنا نرى كلا من تركيب الفعل الماضي: ظلم، وصياغة الشرط: إنْ لم، وجوابه لنكونن؛ فهو يطلب المغفرة من الله تعالى، لكيلا يكون من الخاسرين، وقد اجتمع في التركيب الشرط والقسم.

5-3-2 الدعاء لغاية تحسين الحال المادي

يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران:193) فالدعاء مفهوم من أفعال الأمر: اغفرْ، وكفرْ، وتوفّنا؛ وقد جاء الدعاء بقصد طلب تحسين الحال في الآخرة.

6-3-2 الدعاء لغاية تسهيل الشؤون الاجتماعية

يقول الله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي۝يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه:28-27)، وفي هذا طلب التوفيق إلى حسن الكلام في الدعوة إلى اللّه في خطاب الناس، والتأثير على عقولهم، وعواطفهم بالحكمة بالقول، وإلى الرفق بالفعل، والتركيب اللغوي لهذا الدعاء فعل الأمر.

7-3-2 الرجاء للحصول على أمورشخصية

يقول الله تعالى: ﴿وقل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:114)، هنا نلاحظ وجود طلب الدعاء بقصد التزود بالعلم، وهي منفعة شخصية لها مقاصد متنوعة، تكون دنيوية ومنها ما يتعلق بالآخرة، وجاء التركيب اللغوي في هذا الدعاء بصيغة الأمر.

8-3-2 الخلاص من العدو

يقول الله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ (القمر:10)، موضع الشاهد: انتصرْ؛ أي: انتصرْ يا ربّ لي، فالدعاء مرفوع إلى الله تعالى لتحقيق الانتصار على الاعداء.

4-2 التمجيد والتحميد قبل الدعاء:

وردت في الفاتحة مقدمة للدعاء، وذلك بحمد الله والثناء عليه وتعظيمه وقصده بالتعبد، يقول الله تعالى: ﴿الحمدُ لله ربّ العالمين * الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين* إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾ (الفاتحة: 5-2)، ثمّ جاء الدعاء في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة: 6)، يرشدنا الله تعالى إلى أنْ نطلب منه العون على العبادة، فجاءت الآيات على لسان القارئ للآيات، فبدأت بحمد الله والثناء عليه –كما تقدم- ثم الطلب من الله تعالى أنْ يهدينا ويوفقنا ويثبتنا على الطريق.

5-2 التعليم والتوجيه من الله تعالى:

يبادر الخالق لتعليم الإنسان وتوجيهه إلى الدعاء الفعّال، ويلقي في روعه أحياناً نصّ الدعاء المقبول، وهذا واضح في قول الله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فأتمهنّ﴾ (البقرة:37)، جاء في تفسير الطبري (2000، 542/1) " لقّى اللهُ آدمَ كلمات التوبة... فتاب اللهُ عليه".

وقد نزلت المعوذتان بتراكيب دعاء، علّمها الله تعالى لنبيه، ويمكن أن يفيد منها سائر الناس؛ يقول الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شرّ ما خلق﴾ (الفلق:1- 2)؛ هي أنّ الله تعالى يقول لنبيه: اطلب حماية الله تعالى والاستجارة به من شرور الخلق كافة إذا دخل الليل، والطلب من الله تعالى دعاء (أبو حيان، 1990).

وأشار أبو حيان (1990) إلى أنّ قول الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الناس *ملك الناس* إله الناس *من شرّ الوسواس الخناس﴾ (الناس:4-1) هي أنّ الله تعالى يقول لنبيه أطلب الحماية من الله تعالى من شرور الجن، وإضافة ربّ إلى كلمة الناس؛ لأنّ الناس يستعيذون بربهم ومالكهم، وهي ظاهرة في قول الله تعالى: ﴿ملك الناس *إله الناس﴾ (الناس:3-2). فالدعاء في هاتين السورتين تعليم من الله تعالى للإنسان كي يحمي نفسه من الشرور.

6-2 الإلحاح في الطلب:

حثّ الإسلام على الدعاء، وحثّ المسلمين على الاستمرار في الدعاء، وذلك لأنّ الدعاء فيه عبادة، ومثال ذلك في القرآن الكريم نوح عليه السلام لما ألح في طلب نجاة ابنه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾(هود: 45)؛ جاء في تفسير الطبري (2000، 340/15): "نادى نوح ربه فقال: ربّ إنّك وعدتني أنْ تنجيني من الغرق وأهلي، وقد هلك ابني، وابني من أهلي"، وكان الردّ الإلهيّ: ﴿ قَالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(هود:46)، فأدرك نوح أنّ ابنه لن ينجو من الغرق والعذاب، فهُرع إلى الدعاء ليغفر الله له: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾(هود:47).

فالإلحاح في الطلب تطلب توضيحا من الله تعالى، ثمّ نهاه عن تكرار الطلب، فأدرك نوح توجيه الله إليه بالكف عن طلب النجاة لابنه، فدعا طالبا المغفرة والرحمة، وجاء التركيب وفقا لأسلوب الشرط: فعل الشرط: إلا تغفر، وجواب الشرط: أكنْ من الخاسرين.

3ـ تراكيب النداء والدعاء في القرآن الكريم

تأتي تراكيب النداء -غالبا- مقدمة للدعاء، ولا بدّ من عرض الأغراض التي يخدمها النداء في تراكيب الدعاء: يقول الغلاييني (2007، 485): إنّ حرف النداء(يا) "تتعين في نداء اسم الله تعالى".

ويكثر حذف حرف النداء جوازاً (الغلاييني، 2007) وعلى الرغم من حذف أداة النداء من التركيب، إلا أنه يتم الاعتراف بها في بنية الجملة.

وفي هذا السياق يرى بدوي (2005) أنّ سببا مقبولا لسر حذف أداة النداء (الياء) مع (ربّ) وهو المبالغة في تصوير قُرب المنادَى (رب)، فالمعني يُلمح إلى أنّ الربّ، وهو المربي، والسيد، والمالك؛ من شأنه أن يكون قريباً، حاضراً، فلا يحتاج الداعي في ندائه إلى وسائط.

ونضيف: إن هذه الكلمة (رَبّ) أكثر استعمالاً من غيرها في الدعاء. فروعي فيها من جهات التخفيف، ما يجعلها أطوع في الألسنة، وأسهل في مجاري الحديث، والتخفيف من سنن اللغة العربية. (ابن جني، 1992)

وحُذفتْ أداة النداء في القرآن الكريم في غير الدعاء، ولم يقتصر على كلمة (رب) فحسب، بل جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87)؛ أي يا عباد الله. وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:26)؛ أي: يا اللهمّ. وقول الله تعالى: ﴿يوسفُ أعْرِضْ عنْ هَذا واسْتغفري لِذنْبكِ﴾ (يوسف: 29). أي: يا يوسف.

كما تم استعراض كتاب: آيات الدعاء في القرآن الكريم؛ جمع وتأليف حسين علي خليف الجبوري، وذلك للاطّلاع على مواضيع آيات الدعاء، والنظر في استخدام تركيب النداء الذي يسبق الدعاء، والبحث في الأدوات التالية: (أدوات النداء هي: الهمزة (أ) و(أيْ) لنداء القريب. (يا) لنداء القريب والبعيد معا. (أيَا) و(هَيَا) و(آ) لنداء البعيد) فتبين الآتي:

يقول الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف:97)، وهذا يوضح لنا أن الدعاء في القران اشتمل على صيغ عديدة، وتراكيب متنوعة دون النظر إلى استخدام أدوات النداء، وقد تتوافق المقولة الموضحة أنه لقرب المدعو، وأن أداة النداء تُستخدم للمنادى البعيد، بقصد تنبيهه، وتوجهت آيات الدعاء إلى حذف أداة النداء -غالبا- إذا كان الدعاء موجه إلى الله تعالى المنزه عن الغفلة.

وقدْ تمتْ دراسة لاستخدام أداة النداء (يا) بقصد بيان العلاقات التركيبية في الجملة الندائية في القرآن الكريم، وتوصلت الدراسة إلى انحصار جملة النداء في شكلين: الأول: مذكورة الأداة، والثاني: محذوفة الأداة، وتنحصر الأداة المذكورة في أداة واحدة هي: (يا) (تريكي، 2007).

4ـ ظاهرة نحت تراكيب الدعاء:

النحت هو ضرب من الاختصار، ذلك أنّ العرب يجعلون بعض التراكيب المكونة من كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة (السيوطي، د.ت، 1/ 482).

ويكون النحت باختيار حروف من الكلمة دون ترتيب أو قاعدة، فيقولون: بسمل فلان؛ إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

ومن الأمثلة على نحت تراكيب الدعاء، يقولون: "دمعز: إذا قال: أدام الله عزك. وحسبل: إذا قال: حسبي الله ونعم الوكيل. وطلبق: إذا قال: أطال الله بقاءك. وجعفد: إذا قال: جُعلتُ فداءك". (السيوطي، د.ت، 48؛ ابن منظور، 1995؛ وأنيس، 1966؛ الصالح، 1989)

ومن هذا الباب قولهم: استغفر، إذا قال: أستغفر الله.

وإطلاق كلمةٍ واحدة على قول فيه إيجاد لكلمة مستحدثة، وتضمينها دلالة؛ وكأنّما الكلمة المستحدثة بالنحت غدت علماً على القول، وفيها خفة واختصار، ومعلوم أنّ الأمّة العربية أخذت الاختصار لكثير من الأمور منهجا حياتيا.

5ـ شروط الدعاء

يُعدّ الدعاء من الأسباب المحققة لمراد العبد، ولكنّ الداعي يلتزم بعددٍ الشروط في أثناء الدعاء، منها: الإخلاص، والتوسل، والصبر، وحسن النية، والتوكل، وذرف الدموع، ورفع اليدين، وإظهار التذلل لله تعالى، وأنْ يتّصف العبد الداعي بالنقاء الداخلي والخارجي (النووي، 1985، 535-531)، وهذه الشروط تبين الأحوال التي يتم فيها استخدام التراكيب اللغوية التي تُفيدُ الدعاء.

ويُلاحظُ أنّ هذه الشروط جميعاً تدور في مدار الوحدانية، فالمتوجّه إليه بالدعاء هو الله الواحد الأحد، الربّ، الخالق، إذا أراد شيئا فإرادته متحققة بِـ كُنْ. لكنّ هذا التحقق المرجو قد يكون عاجلاً في الدنيا، أو يؤخره الله تعالى لحكمة يريدها، أو يدفع بالدعاء عن العبد شراً.

وقد يُمنع العبدُ من إجابة الدعاء إذا كان قبل الدعاء غير نقي في ذاته؛ كما أشارت الشروط آنفاً؛ كأنْ يكون العبدُ عاقاً أو قاطع رحم، أو كان عاصياً، أو مِن الآثمين.

الخاتمة

عرض البحث موضوع الدعاء في القرآن الكريم، وذلك بالوقوف على الآيات التي جاء فيها الدعاء على ألسنة متعددة؛ الدعاء على لسان المؤمنين والنبيين والرسل والملائكة، والأصل في تركيب جملة الدعاء أنْ يأتي بفعل الأمر، لكنّ تراكيب الدعاء تنوعت بين الفعل الماضي والمضارع والمصادر، وغيرها، فالدعاء مُتاح ومُيسرٌ في لغة العرب بتراكيب متنوعة.

النتائج

بعد دراسة موضوع البحث تبيّن الآتي:

1-عبّر العرب باللغة عن أفكارهم ومشاعرهم الإيجابية والسلبية إزاء الآخرين ولأنفسهم، فجاء الدعاء بحسب الموقف، وموافقا لقواعد اللغة العربية وأساليب العرب في التعبير، وقد تعزّز مفهوم الدعاء في الإسلام، إذْ صار أصيلاً في العبادة فلا تكاد شعيرة أو عبادة تخلو من الدعاء.

2-جاء الدعاء في تراكيب متنوعة؛ منها: الجملة الاسمية والجملة الفعلية والمصدر النائب عن فعله، ولعلّ هذا التنوع يومئ إلى رغبة الخالق في تيسير الوصول إليه، وإشعاراً منه –جلّ وعلا- بقرب الخالق من المخلوقين.

3- يأتي الدعاء على لسان الفرد لطلب حاجة خاصة وفردية، ويأتي على لسان الجماعة لطلب حاجة عامة، ويبدو انّ الخطاب الجماعي يُسهم إلى درجة عالية في توحيد المجتمع، وهذا واضح في سورة الفاتحة التي يتلوها المصلي المنفرد سبع عشرة مرة، ويتلوها إمام

الجماعة في اليوم والليلة كذلك، وتُختم بلفظ: آمين: أي استجب يا ربنا؛ يقولها المأموم فرداً أو جماعة.

4- بعض تراكيب الدعاء تكون وصفا للحال دون سؤال، فالله جلّ وعلا أعلمُ بحال عبده.

5- مقدمة الدعاء مهمة؛ فكلّ دعاء له مقدمة ملحوظة أو ملفوظة، فالنداء مقدمة، وأحيانا يكون الدعاء ببيان الحال ثم الدعاء.

6- وقد ظهرت بعض تراكيب الدعاء ذات المعنى السلبي، لكنهم يريدون بها معنى إيجابيا، نحو: (ثكلتك أمك، ولا أبا لك، وتربت يداك)، وهذا يدل وبكل وضوح على أثر المجتمع في معاني التراكيب اللغوية؛ فالألفاظ تنتظم وفقا لقواعد المجتمع، والمعنى الدلالي العميق مختلف عن المعنى السطحي، وهذا السلوك اللغوي لا يزال مستمرا في اللهجات المحكية.

7- ونجد أحيانا أنّ التركيب نفسه لا يأخذ معناه المراد إلا من خلال القرينة الواردة في السياق؛ ورودا ملفوظا أو ملحوظا، أو من خلال الاستقراء كما ذكر البغدادي في الخزانة.

8- قد يكون الدعاء تعريضا لمن يسمع مِن الناس المحيطين لمساعدة الداعي؛ والدعاء مرفوع أصلاً إلى الله تعالى، ومثاله دعاء موسى عليه السلام على مسمع بنتي شعيب عليه السلام.

9- الدعاء هو العنصر الأساسي في حياة المسلمين، فهم بحاجة إلى الله في جميع الأحوال، فالدعاء يُشعِر العبد بالقربِ من خالقه. وبهذا يُسهم الدعاء في تهدئة النفس البشرية، وإعادة توازنها إليها، لأنّ الداعي بعد الدعاء يشعرُ أنه أوكل همه إلى الله تعالى، والله تعالى أعلم به منه، قال الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإنّي قريب أجيبُ دعوة الداعي إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ (البقرة: 184).

10- لعلّ أساليب الدعاء في القرآن الكريم تُلهم الناس الأساليب التي يتواصلون بها مع الله تعالى، وتُعلمهم كيفية إيصال رسالتهم إليه جلّ وعلا، وتحثهم على الدعاء في الأحوال جميعها، بل والإلحاح في الطلب؛ فجاء الدعاء في القرآن الكريم من الناس العاديين، ومن الأنبياء والمرسلين، وجاء من الملائكة المقربين.

11- الغرض من أداة النداء-غالبا- هو تنبيه الغافل، وتُحذف -غالبا- أداة النداء (يا) عندما يكون أسلوب النداء مقدمة لتركيب الدعاء إذا كان النداء موجها من الأدنى إلى الأعلى؛ وهو الله تعالى تنزيها له عن الغفلة.

12- جاءت ظاهرة نحت تراكيب الدعاء لكثرة الاستخدام؛ فقالوا: استغفر الرجلُ، ودمعز، وحوقل، وغيرها، فصارت هذه الألفاظ المنحوتة علما على التركيب، وفي النحت اختصار، وهو من أساليب العرب في الكلام.

التوصيات

لعلّ هذا البحث فتح الباب على مصراعيه للباحثين لدراسة تراكيب الدعاء من جوانب متعددة؛ منها:

1- لا بدّ من دراسة ظاهرة النحت في الدعاء، وآليتها، والدافع إليها، وأثرها على اللغة، ومستخدم اللغة.

2- البحث في العلاقة بين مقدمة الدعاء، ونص الدعاء، لاسيما أنّ أسلوب النداء بخاصة غالبا ما يكون مقدمة للدعاء.

3- بحث علاقة الدعاء بالتعريض، أو الدعاء غير المباشر، وأنواعه، والأحوال التي تدفع الداعي إلى التعريض.

4- دراسة: أثر تراكيب الدعاء في وحدة لغة المجتمع وتماسكه. وأثر الدعاء في تصالح الفرد مع نفسه، في ضوء شعوره بالقرب من الخالق.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم

- ابن الأنباريّ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد. (1999). أسرار العربية، حقّقه بركات يوسف هبّود، ط1، بيروت: دار الأرقم.
- أنيس، إبراهيم. (1966). من أسرار اللغة، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بدوي، أحمد أحمد بدوي. (2005). من بلاغة القرآن، القاهرة: الإدارة العامة للنشر.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1989). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط2، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- تريكي، مبارك. (2007). النداء في القرآن، جامعة ابن يوسف بن خدة، اطروحة دكتوراه، الجزائر.
- الجبوري، حسين، آيات الدعاء في القرآن الكريم، (online): https://al-maktaba.org/book/31616
- الجرجاني، علي بن محمد علي الحسيني. (1998). كتاب التعريفات، ط1، بيروت: دار الفكر.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1992). الخصائص، حققه عبدالحكيم بن محمد، الدار الوقفية.
- أبو حيان، أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي. (1990). البحر المحيط، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- خرازي، م.، و بلخضر، أ. (2008). فن الدعاء في الشعر الجزائري القديم: مقاربة أسلوبية) رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (2009). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، حققه: ط3، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، بيروت: دار إحياء المعرفة.
- زوين، محمد محمود. (2011). الدعاء المعاني والصّيغ والأنواع، دراسة قرآنية، ط1، مركز الرسالة، سلسلة المعارف الاسلامية.
- السامرائي، فاضل صالح. (2002). معاني النحو، ط2، دار الفكر.
- سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر. (1991). الكتاب، تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط1، بيروت: دار الجيل.
- السيوطي، جلال الدين. (د. ت.). المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، حقّقه محمد أحمد جاد المولى وزميلاه، دار الفكر.

- الصالح، صبحي. (1989). دراسات في فقه اللغة، ط12، دار العلم للملايين.
- الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن، حققه أحمد ومحمود شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة.
- عتيبق، عبد العزيز. (2009). علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري. (1979). إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب في جميع القرآن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الغلاييني، مصطفى. (2007). جامع الدروس العربية، حققه أحمد جاد، ط1، القاهرة: دار الغد الجديد.
- القرطبيّ، شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاريّ، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، (د.ت) (د.ط).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. (2000). تفسير القرآن العظيم، ط1، بيروت: دار ابن حزم.
- المخزومي، مهدي. (1985). في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، ط3.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1995). لسان العرب، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.
- مهلهل، بن ربيعة. (1993). ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، بيروت: الدار العالمية.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري. (1998). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه: مازن المبارك محمد علي حمد الله، ط1، لبنان: دار الفكر.

ثانياً: ترجمة المراجع العربية إلى اللغة الإنجليزية

The Holy Quran

- *Ibn al-Anbari, Kamal al-Din Abu al-Barakat, Abd al-Rahman bin Muhammad bin Abi Saeed. (1999). Asrar Al-Arabiya, Edited by Barakat Youssef Haboud, frst Edition, Beirut: Dar Al-Arqam.*
- *Anis, Ibrahim. (1966). Min Asrar al-Lughah, 3rd Edition, Cairo: Anglo-Egyptian Library.*
- *Badawi, Ahmed Ahmed Badawy. (2005). From the eloquence of the Qur'an, Cairo: General Administration for Publishing.*
- *Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar. (1989). Khazanat al-Adab, The Heart of Lisan al-Arab, 2nd Edition, achieved by Abd al-Salam Haroun, Cairo: Al-Khanji Library.*
- *Triki, Mubarak. (2007). The Call to the Qur'an, Ibn Youssef Ibn Khadda University, PhD thesis, Algeria*
- *Al-Jubouri, Hussein, Verses of supplication in the Noble Qur'an, (online): https://al-maktaba.org/book/31616*
- *Al-Jerjani, Ali bin Muhammad Ali Al-Husseini. (1998). Definitions Book, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Fikr.*
- *Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman. (1992). Characteristics, achieved by Abdul Hakim bin Muhammad, House of Endowment.*
- *Abu Hayyan, Atheer al-Din Abi Abdullah Muhammad bin Yusuf al-Andalusi. (1990). Al-Bahr Al-Moheet, 2nd ed., Beirut: House of Revival of Arab Heritage.*
- *Kharazi, M., and Belkhader, A. (2008). The art of supplication in ancient Algerian poetry: a stylistic approach (unpublished master's thesis). Kasdi Merbah University, Ouargla.*
- *Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar. (2009). Al-Kashf, about the facts of the revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation, achieved by: 3rd edition, taken care of by: Khalil Mamoun Shiha, Beirut: House of Revival of Knowledge.*
- *Zwain, Mohamed Mahmoud. (2011). Supplication: Meanings, Forms and Types, Quranic Study, 1st Edition, Message Center, Islamic Knowledge Series.*
- *Al-Samarrai, Fadel Saleh. (2002). Meanings of Grammar, 2nd Edition, Dar Al-Fikr.*
- *Sibawayh, Abu Bishr Othman bin Qanbar. (1991). The book, investigated by Muhammad Abd al-Salam Haroun, 1st edition, Beirut: Dar al-Jeel.*
- *Al-Suyuti, Jalaluddin. (D.T.). Al-Mizhar fi Linguistic Sciences and its Kinds, Edited by Muhammad Ahmad Gad Al-Mawla and his colleagues, Dar Al-Fikr.*
- *Saleh, Sobhi. (1989). Studies in Philology, 12th Edition, House of Science for Millions.*
- *Tabari, Muhammad bin Jarir, Abu Jaafar al-Tabari. (2000). Jami` al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an, verified by Ahmad and Mahmoud Shaker, 1st Edition, Al-Resala Foundation.*
- *Ateeq, Abdel Aziz. (2009). Ilm Al-Maani, 1st Edition, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut.*
- *Akbari, Abu stay Abdullah bin Hussein Akbari. (1979). Dictating what the Most Merciful has from the expressions in all the Qur'an, i 1, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.*
- *Ghalayini, Mustafa. (2007). The Arabic Lessons Collector, achieved by Ahmed Gad, 1st Edition, Cairo: Dar Al-Ghad Al-Jadid.*
- *Al-Qurtubi, Shams Al-Din Muhammad bin Ahmed Al-Ansari, The Collector of the provisions of the Qur'an, Dar Al-Fikr, (D.T.) (D.T).*
- *Ibn Katheer, Abu Al-Fida Ismail Bin Omar Bin Katheer. (2000). Interpretation of the Great Qur'an, 1st Edition, Beirut: Ibn Hazm House.*
- *Makhzoumi, Mahdi. (1985). In Arabic grammar, rules and application of the modern scientific method, 3rd Edition.*
- *Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram. (1995). Lisan Al Arab, Beirut: Dar Sader for printing and publishing.*
- *Mohalhal, Ben Rabia. (1993). Diwan Muhalhal bin Rabia, explained and presented by Talal Harb, Beirut: International House.*
- *Ibn Hisham, Abu Muhammad Abdullah Jamal al-Din al-Ansari. (1998). Mughni Al-Labib on the books of Arabs, achieved by: Mazen Al-Mubarak Muhammad Ali Hamdallah, 1st Edition, Lebanon: Dar Al-Fikr.*

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية

- *Canter, P. H. (2007). The therapeutic effects of meditation. British Medical Journal, 326.*
- *Sykes, A. (2004). On the Lord's Prayer. Crestwood: St. Vladimir's Seminary Pres.*
- *Wierzbicka, Anna. (1994). What is prayer? In search of a definition. B. Brown, ed. Birmingham, Ala, Religious Education Press, pp 25–46.*